المحاضرة الثامنة

مظاهر اختلاف اللهجات العربية:

إنَّ الناظر في اللهجات العربية القديمة التي وصلت إلينا يلاحظ تنوعها بحيث يمكن توزيعها بحسب مستويات اللغة أو مظاهرها؛ لذلك سأعرض بإيجاز لأشهر ما رُويَ عن الاختلاف اللغوي بين اللهجات العربية على وفْق مظاهر اللغة الأربعة بحسب التقسيم أو الاتجاه اللغوي الحديث، وهي:

١. المظهر أو الجانب الصوتي [أي ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها]
٢. المظهر أو الجانب الصرفي [أي ما يتعلق ببنية الكلمات ونسجها].
٣. المظهر أو الجانب التركيبي أو النحوي [أي ما يتعلق ببناء الجمل وتركيبها].
٤. المظهر أو الجانب الدلالي [أي ما يتعلق بمعاني الألفاظ ودلالتها].

١.الاختلافات اللهجية على المستوى الصوتي[١].

نقصد بذلك الصفات الصوتية التي كانت عليها اللهجات العربية، وهو ما كان سببه إبدال صوت بآخر، سواء أكانا صوتين صامتين[٢] أم صائتين، أم كان أحدهما صائتًا طويلًا، والآخر صائتًا قصيرًا، متفقين في المخرج أو متقاربين... إلى ما هنالك من صفات

(١) إنَّ البحث في اختلاف اللهجات العربية من الناحية الصوتية هو عنوان كبير يحتوي على العديد من الظواهر الصوتية عند بعض القبائل، ومن هذه الظواهر: الفتح والإمالة، الإظهار والإدغام، تحقيق الهمزة وتسهليلها [أو التخلص من الهمز] ، الإبدال، الوقف، الإسكان والتحريك، الإتباع، كسر أحرف المضارعة... إلى غير ذلك من ظواهر صوتية. وليس من الضروري أن توجد جميع هذه الظواهر لدى قبيلة من القبائل، لكن بعضها اشتهرت بعدد من الظواهر، والبعض الآخر لم يعرف عنه شيء منها، ومعرفة ذلك يعتمد على المصادر التراثية فهي التي فصَّلت القول في ذلك.

(٢) الصوت الصامت: كل صوت في العربية غير الألف والواو والياء، و الصائت: هو هذه الأصوات الثلاثة، الصائت الطويل: الألف والياء والواو، والقصير: الفتحة والكسرة والضمة.

تتسم بها الأصوات العربية، فيمتاز بها صوت من آخر، وتتحدد صورته في السمع. وهذا في كلام العرب كثير، لا تكاد لهجة من لهجاتهم تخلو منه.

إذن لقد اختلفت اللهجات العربية في النطق ببعض أصوات اللغة، كما اختلفت في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض، فأصبح لكل لهجة عاداتها الصوتية ونغمتها الخاصة التي تميزها عن غيرها من اللهجات الأخرى سواء في بعض حركات الكلمة أو بعض حروفها أو التفاعل بين الحركات والحروف فسيكون بحث هذا الجانب أو المجال على النحو الآتي[٣]:

أولًا: الاختلاف في الحركات.

١. بين الحركة والسكون.
٢. بين الضَّم والكسر.
٣. بين الفتح والكسر.

ثانيًا: الاختلاف في بعض الحروف.

١. الهمز بين التحقيق والتخفيف.
أ- التخفيف بالحذف والإسقاط.
ب- التخفيف بالإبدال (القلب).
ت- تخفيف الهمزة بَيْنَ بَيْن.
٢. إبدال الحروف.
٣. الإدغام والإظهار.

ثالثًا: الخلاف في التفاعل بين الحركات والحروف.

١. الفتح والإمالة.

(٣) يمكن تقسيم ذلك بصور أُخَر، ولكنني سرتُ على هذا التقسيم في عرض المادة.

أولًا: الاختلاف في الحركات[٤]:

١. بين الحركة والسكون [الإسكان والتحريك].

رُويَت لنا الكثير من الكلمات مُحرَّكة في موضعٍ ما من الكلمة في لهجة أهل الحجاز وأكثر العرب، والكلمات نفسها رُويت لنا في لهجة أهل نجد ساكنة في الموضع نفسه والمعنى هو المعنى، ويبدو أن مثل هذا الاختلاف يرجع عادةً إلى طلب الخفة والنفور من الثقل[٥] أو توهم ذلك في لهجة دون أخرى؛ لأنَّ الحركة مهما كانت ثقيلة (الكسرة، والضمة) أو خفيفة (الفتحة) فإنها أثقل من السكون إذا لم يقع أولًا؛ لأنه عدم الحركة البتة.

ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره سيبويه عن لهجة بكر بن وائل وأناس من تميم في باب ما يُسكَّن استخفافًا وهو في الأصل متحرك: ((وذلك قولهم في فَخِذ: فَخْذ، وفي كَبِد: كَبْد، وفي عَضُد: عَضْد، وفي الرَّجُل: رَجْل، وفي كَرُمَ: كَرْم، وفي عَلِمَ: عَلْمَ)). وعلل لعملهم بقوله: ((وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا (ألسنتهم) عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل)) كما ذكر أنَّ هؤلاء أيضًا يخففون (أي يسكنون) إذا تتابعت الضمتان أو الكسرتان؛ لأنَّ الضمة من الواو والكسرة من الياء فكرهوا تتابعهما، كما كرهوا تتابع الواو أو الياء عدا تتابع الفتحتين فيقولون: الرُّسُل وإبْل في إبِل، أما جَمَل وحَمَل فلا يخففون.

٢- بين الضم والكسر.

تميزت لهجات القبائل البدوية من العرب بميلها نحو حركة الضم[٦]، في حين تميزت لهجات القبائل المتحضرة بميلها نحو حركة الكسرة، وفي الحقيقة أنَّ بين الضمة والكسرة

---

(٤) أو الصوائت القصيرة.

(٥) أو بعبارة أخرى: هو التخفيف وتوفير الجهد الذي تنزع إليه القبائل العربية في أثناء كلامها.

(٦) هذا الأمر استنتجه بعض الباحثين في اللهجات العربية.

من القرب والتناسب ما ليس بينهما وبين الفتحة كما يقول ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب[٧].

ولذلك يكثر تناوبهما في كثير من الكلمات العربية، وبما أنَّ الحركتين فيهما ثِقَلٌ بالنسبة إلى الفتحة بدليل ظهورها في المنقوص، نحو: رأيتُ القاضيَ، وتعذر ظهورهما فليس للخفة والثقل دورٌ في ميل اللهجات إلى هذه أو تلك بقدر ما للرقة والخشونة من دورٍ فيها، فالضمة تُعدُّ مظهرًا من مظاهر الخشونة التي تميزت بها البداوة وحياة الشظف في الصحراء القاحلة على حين تُعد الكسرة من مظاهر الرقة والسهولة التي تميزت بها حياة الحضارة، وهي حركة المؤنث في اللغة العربية[٨]، والتأنيث عادةً ما يكون محل الرقة، ويدلك على توجه كلا الفريقين ما رُويَ من الأسماء مؤنَّثًا في لهجة الحجازيين، ومذكرًا في لهجة تميم وسائر العرب، جاء في اللسان: ((الزُّقاق: السِّكَّة _يُذكَّر ويُؤنَّث_ قال الأخفش: أهل الحجاز يُؤنِّثون الطريق والسراط والسبيل والسُّوق والزُّقاق والكَلَّاء _وهو سوق البصرة_ ، وبنو تميم يذكِّرون هذا كلَّهُ)).

وبالعودة إلى حركة الضم والكسر نجد كثيرًا من الكلمات رُويَت لنا بروايتين إحداهما تتضمن الكسر في موضع من الكلمة، والأخرى بالضم في الموضع نفسه، والمعنى هو المعنى، من ذلك ما نقله السيوطي قائلًا: ((أهل الحجاز: يبطِش، وتميم: يبطُش... ، أهل الحجاز مِرْية، وتميم: مُرْية)).

وكذلك فيما نقله عن اليزيدي بأنَّ أهل الحجاز يقولون: ((إسْوة وقِدْوة، وتميم تضم)). أما بالنسبة إلى غير المنسوب من الأسماء التي تتناوب على أحد حروفها حركة الكسر والضم ويمكن حملها على المنسوب فكثيرة وافرة، منها على سبيل المثال لا الحصر ما أورده ابن قتيبة في باب ما جاء من ذوات الثلاثة فيه لغتان وهي: ((فَعِل وفَعَل: حَذِر

---

(٧) (٥٤/١)

(٨) قال سيبويه: ((لأنَّ الكسرة مما يؤنث به تقول: إنكِ ذاهبة وهاتي هذا للجارية وإنما الكسرة من الياء)).

وحَـذَر، فِعْـل وفُعْـل: صِـفْر وصُـفْر _المعـدن المعـروف_ فُعَـل وفِعَـل: صُـوَر وصِـوَر، فِعْلـة وفُعْلة: قِدوة وقُدوة، فِعَال وفُعَال: سِوَار وسُوَار)).

وقـد يكـون الإتبـاع الحركـي[٩] وهـو مـا يُعـرَف عنـد المُحـدَثين اليـوم بـالتوافق الحركـي سـببًا فـي إبـدال الكسـرة ضـمة والضـمة كسـرة فـي بعـض اللهجـات العربيـة إذا تلـت إحـداهما الأخـرى أو سـبقتها، مـن ذلـك كلمـة (مُنْـتِن) إذ ذكـر ابـن جنـي فيهـا ثـلاث لهجـات: ((مُنْـتِن وهـو الأصل، ثم يليه: مِنتِن، وأقلُّها مُنْتُن)).

وتعليـل ذلـك لمـن فـي لهجتـه (مِنْـتِن) بكسـرتين فإنـه كسـر المـيم لكسـرة التـاء وأتبعهـا إياهـا، ولـم يكـن عنـدهم السـاكن بينهمـا حـاجزًا حصـينًا، وأمـا مـن هـي فـي لهجتـه (مُنْـتُن) بضـمتين فإنـه ضـم التـاء لضـمة المـيم قبلهـا وأتبعهـا إياهـا، ولـم يكـن عنـدهم السـاكن بينهمـا حـاجزًا حصينًا[١٠].

ومـن ذلـك أيضًـا مـا قالـه سـيبويه عـن قـوم مـن ربيعـة يقولـون : ((مِـنْهِم ، أتبعوهـا الكسـرة ولـم يكـن المسـكَّن حـاجزًا حصـينًا عنـدهم. وهـذه لغـة رديئـة ، إذا فصـلت بـين الهـاء والكسـرة فـالزم الأصـــل ، لأنـــك قـــد تجـــري علـــى الأصـــل ولا حـــاجز بينهمـــا)) . وكـذلك قـول نـاس مـن بكـر بـن وائـل : مـن أحلامِكِـم ، وبِكِـم ، فأتبعوهـا الكسـرة الكسـرة ، ووصـــفها ســـيبويه بأنهـــا لغـــة رديئـــة جـــدًا إذ الأصـــل ضـــم الكـــاف.

ومـن الملاحـظ أنَّ لهجـة أهـل الحجـاز لا تعـرف الإتبـاع كمـا عرفتـه لهجـة أهـل نجـد وغيرهـا مـن اللهجـات العربيـة الأخـرى ، ولـذلك انعكسـت الحالـة التـي ذكرناهـا عـن ميـل الحجازيـة إلـى الكسـر والتميميـة إلـى الضـم ، وإذا ضـم الحجـازيون جريًـا علـى الأصـل ،

(٩) ويسمى أيضًا المقاربة والمماثلة والمشاكلة والانسجام الحركي، ويراد به مماثلة حركة الحرف المتقدم لحركة المتأخر أو العكس، وهو ناتج من تأثير الحركات المتجاورة بعضها في بعض؛ ليتحقق الانسجام والتجانس بينهما، فإن كان التأثير من الحركة المتقدمة في الحركة المتأخرة سمي التأثر تقدميًا، وإن كان من الحركة المتأخرة في المتقدمة سمي التأثر رجعيًا.

(١٠) يعني بذلك أن الاتباع قد وقع على الرغم من وجود النون بين الميم والتاء.

وكسر التميميون لدواعٍ صوتية اقتضت منهم كسر المضموم أو ضم المكسور خروجًا عن الأصل يتجلى ذلك فيما عقده سيبويه في باب ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الإضمار إذ يذكر سيبويه أنَّ أصلها الضم وبعدها الواو ، وهي كذلك لهجة أهل الحجاز فيقولون : مررتُ بِهُو قبل ، ولَدَيْهُو مالٌ ، ويقولون : (فخسفنا بِهُو وبدارِهُو الأرض) ثم قال : إنَّ هاء الضمير المضمومة تكسر في غير لهجة أهل الحجاز إذا سُبِقَت بياء أو كسرة فيقولون: بِهِي عليهِي بإتباع الكسرة وقلب الواو ياء وعند حذف الحرف تكون بِهِ وعليهِ كما هي في الفصحى.

فمالت لهجة الحجاز الى إبقاء الضمير على حاله وأُشبِعَت الضمة فقالت : بهو ، ولديهو ، وبدارهو ، أما لهجة نجد فآثرت الإتباع فقالت: بِهِ ، ولديهِ ، وبدارِهِ.

٣- بين الفتح والكسر.

رُويَت لنا كثير من الكلمات (أفعال وأسماء وصفات) محرَّكة بالفتح في موضع منها في لهجة أهل الحجاز ، ومحرَّكة بالكسر في لهجة تميم وسائر العرب. والمعنى هو المعنى.

وقد أرجع العلماء القدماء تفسير هذه الظاهرة إلى مبدأ الإتباع (التوافق الحركي) فقالوا: إنَّ أصل مثل هذه الكلمات جاء بالفتح في موضع منها ولأسباب صوتية قامت هذه اللهجات بإبدال الفتحة كسرة لتتوافق مع كسرة بعدها إذا كانت اسمًا أو صفة فيرتفع اللسان من موضع واحد أو للتنبيه على أنَّ ماضي الفعل المضارع فَعِل ، وسيأتي بيانه في أثناء عرضنا لحالتها وهي :

أ- كسر أحرف المضارعة وفتحها.

ذكر سيبويه أنَّ جميع العرب تكسر أحرف المضارعة فيما كان ماضيه على (فَعِل) سوى أهل الحجاز فإنَّهم يفتحونها وذلك الأصل فيها ، يدلك على ذلك اتفاق جميع اللهجات مع لهجة الحجاز في فتحها مع الياء فيقولون : يَفْعَلُ لثقل الكسرة على الياء وكذلك تركهم الضم مع يَفعُل أي عدم إتباعهم الفتحة بالضمة لما كان ماضيه فَعُل كما فعلوا مع ما كان ماضيه فَعِل ، وعلل لعملهم في مضارع فَعِل بأنَّهم أرادوا التفريق في المضارع بين ما كان ماضيه على فَعِل وبين ما كان ماضيه على فَعَل فقالوا : تِعْلَم ، ولم يقولوا : تِذْهَب ؛ لأنَّ ماضيه ذَهَبَ. سائر العرب تقول: (أنت تِعْلَمُ ، وأنا إعْلَمُ. وكذلك كل شيء فيه فَعِلَ من بنات الياء والواو فيهن لام الفعل

والمضارع نحو : شَقِيتُ فأنتَ تِشقَى ، وخَشِيتُ فأنا إخْشَى ، وخِلْنَا فنحن نِخَالَ ، وعَضِضْنَنَّ فأنتنَّ تِعْضَضْنَ وأنتِ تِعْضَّينَ) وجميع ذلك تُفتح فيه أحرف المضارعة في لهجة أهل الحجاز .

أما كسر أحرف المضارعة الذي نسبه الرواة إلى بهراء وسموه بالتلتلة[١١] فيبدو أنهم لم يقتصروا على كسر ما كان ماضيه فَعِل فقط كما هو عند جميع العرب ولكنهم توسعوا في ذلك وكسروا ما كان ماضيه على فَعَل أيضًا ، ولذلك نُسِبَت إليهم التلتلة، يتجلى ذلك في الأمثلة التي ساقها ثعلب للتعريف بالتلتلة إذ نقل ابن جني عن ثعلب قوله: (وأما تلتلة بهراء فإنهم يقولون: تِعلمون وتِفْعلون وتِصْنعون) ومن المعروف أنَّ ماضي تِفعلون وتِصنعون على فعل (فَعَل وصَنَع).

ب- كسر فاء فَعِيل من أبنية الأسماء أو فتحها إذا كان أحد أحرف الحلق عينًا لها.

قال الخليل: ((لغة تميم: شِهيد – بِكسر الشين – ، يكسرون فِعيلًا في كل شيء كان ثانيه أحد حروف الحَلْق ، وكذلك: سُفْلى مُضَر ، ولغة شنعاءُ يكسرون كل فعيل ، والنصب اللغة العالية)).

وعلل ابن جني لهذا العمل بأنَّهُ محاولة لتقريب صوت من آخر مع أحرف الحلق نحو شِعِير ، بِعِير ، ورِغِيف.

تنبيه:

إنَّ جميع ما ذكرناه هو الكثير المشهور وليس مطَّردًا حتى لا يخرج عنه شيء ، فقد رُويَ لنا أنَّ اللهجة الحجازية سكَّنت حيث حرَّكت التميمية في نحو : عَشْرة – ساكنة الشين – عند أهل الحجاز ، محركة عند تميم. ورُويَ لنا أنَّ الحجازية كسرت حيث فتحت التميمية في نحو: الحَصَاد والحَجّ ، فهي عند الحجازيين الحِصاد والحِجّ ، ورُوي لنا الضم عن أهل الحجاز فيما كسره بنو تميم ، وقد مر بنا في الإتباع قول الحجازية به ، وعلينا أن ندرك أنَّ ميل اللهجة إلى حركةٍ ما أو حرفٍ ما لا يعني خلوّها من إحدى الحركات أو الحروف الأخرى ، إذن لخلت كل لهجة من حركة أو حرف لا تميل إليه،

(١١) التلتلة: هي كسر أوائل الأفعال المضارعة مثل تِعْلَم _بكسر التاء_ بدلًا من: تَعْلَم بفتحها. وما زالت هذه اللهجة ممتدة في العاميات العربية الحديثة فيقال مثلًا: تِدري، وتِشتري...إلخ.

وهذا لم يثبت للبتة؛ إنما يؤثر ميلها على اختياراتها ، وينطبق هذا على جميع ما سنذكره في اللهجات.

ثانيًا: الاختلاف في بعض الحروف:

من مظاهر الاختلاف الصوتي بين اللهجات العربية الاختلاف في نطق بعض حروف اللغة ، وهذه بعض المظاهر الصوتية التي اختلفت فيما بعض اللهجات العربية وكان مدارها الحروف .

١- الهمز بين التحقيق والتخفيف[١٢].

الهمزة حرف شديد مجهور[١٣] من أقصى الحلق يمنع النَّفس أن يجري معه (حبيس) هكذا جاء وصفه عند سيبويه ، وأيَّده على ذلك بعض علماء الأصوات في العصر الحديث وخالفه آخرون.
وقد جاء في أحكامها مفردة وغير مفردة (همزتان في كلمة أو كلمتين) ما لا يحصيها مثل هذا الموجز ، وحسبنا من ذلك معرفة حال العرب في النطق بها واختلافهم في ذلك بين التحقيق والتخفيف.

تحقيق الهمز من صفات تميم والقبائل البدوية من العرب وهي الكثرة الغالبة ، كما أنها من الصفات التي تميزت بها اللغة (الأدبية) الفصحى للعرب.
فتحقيق الهمزة أن تنطق بها فتمنع النفس من التسرب من الحلق عند النطق بها ولو لجزءٍ من الثانية بحيث تصبح حبيسة مع التزام الشدة والجهر، وقد مثَّلَ سيبويه لتحقيق الهمز بقوله:
((فالتحقيق قولك : قَرَأْتُ ، ورَأْس ، وسأل ، ولؤم ، وبِئس ... وأشباه ذلك)).
وأشار إلى نسبة الهمزة إلى بني تميم بقوله : ((وذلك قولك: سأل في لغة أهل الحجاز إذا لم تُحقَّق كما يحقق بنو تميم)) .

---

(١٢) ما زال تسهيل الهمز شائعًا في العاميات العربية الحديثة فهم يقولون مثلًا جيت في جئت، والمرة في المرأة، وذيب في ذئب...إلخ.

(١٣) تُعد الهمزة من الحروف الصعبة في النطق لاجتماع الجهر والشدة فيها مما ألجأ بعض القبائل إلى التخلص من الهمز ويتم ذلك إما بحذفه وإما بقلبه إلى حرف من أحرف المد.

أما تخفيف الهمزة فهو من سمات اللهجة الحجازية في مكة والمدينة ، وقد اطبقت الروايات على نسبة التخفيف في الهمز إليها مثل نبيء يقولون فيها نبيّ.

وقد ذكر سيبويه لتخفيف الهمزة ثلاث حالات بقوله: ((وأما التخفيف فتصير الهمزة فيه بَيْنَ بَيْن ، وتُبدل وتُحذف))

أ- التخفيف بالحذف والإسقاط.

ويكون بنقل حركتها ثم إسقاطها أو إسقاطها رأسًا، أما النقل[١٤] فهو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها فتسقط الهمزة. مثاله في كلمتين (قَدْ أفلح) فتُنقل الفتحة إلى الدال الساكنة وتسقط الهمزة فيبقى اللفظ بدال مفتوحة بعدها فاء هكذا (قَدَ فْلح) وفي المفرد المَرة في المرأة ، والخَبَ في الخَبْء.

والإسقاط مباشرة هو إسقاط الهمزة دون نقل حركتها ، من ذلك في المفردة (متكئِين) في (متكين) .

أما في همزتين فكما يقول سيبويه : ((فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحقَّقا ، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة ، وهو قول أبي عمرو. وذلك قولك: (فقد جاء أشْراطها) ومنهم من يحقق الأولى . ويخفف الآخره ، سمعنا ذلك من العرب وهو قولك : فقد جاء اشراطها[١٥].

ب- التخفيف بالإبدال(القلب)[١٦].

أن تبدل الهمزة الساكنة حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها فتبدل ألفًا بعد الفتحة ، و واوًا بعد الضمة، و ياءً بعد الكسرة، نحو (يُؤمنون ، فَأْذنوا ، جئت) في (يومنون، فَاذنوا، جيت).

---

(١٤) النقل هو تحويل الشيء من موضع إلى موضع، وهذا المعنى يتحقق عند تخفيف الهمزة بالنقل، في الحالة التي تجيء فيها الهمزة بعد حرف صحيح ساكن، فتُحول الحركة التي على الهمزة إلى الحرف الساكن الذي قبلها ثم يصار إلى تسهيل الهمزة قصد التخفيف سواء أكانت حركة الهمزة فتحة أم ضمة أم كسرة.

(١٥) يقصد بقوله: فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا في الوصل وليس الوقف.

(١٦) إنَّ إبدال الهمزة مع أحرف العلة قلبٌ كما يرى بعض الباحثين.

ث- تخفيف الهمزة بَينَ بَين:

أن تجعلها من مخرج الهمزة ومخرج الحرف الذي منه حركة الهمزة فإذا كانت مفتوحة جعلناها متوسطة في إخراجها بين الهمزة والألف؛ لأنَّ الفتحة من الألف ، وذلك قولك (سال) إذا خففنا (سأل)، وإذا كانت مضمومة فجعلناها بين بين اخرجناها متوسطة بين الهمزة والواو كقولنا: (لوم) تخفيف (لؤم) ، وإذا كانت مكسورة جعلناها بين الياء والهمزة مثل (بئس) بالهمزة – تنطق (بيس) بين الهمزة والياء.

والفرق بين الهمزة والمحققة والهمزة بَيْنَ بَيْنَ أنك تضعِف الصوت ولا تتمه وتُخفي كذلك قال سيبويه وقد عدَّها من الفروع المستحسنة للحروف. وقد أشار الصحابة رضي الله عنهم إلى التسهيل بين بين في رسم المصاحف العثمانية فكتبوا صورة الهمزة الثانية في قوله تعالى في سورة آل عمران (قُل أَؤنبئكم) واوًا على إرادة التسهيل بين بين . فالخلاصة: هو النطق بالهمزة بين صوتها وصوت الحرف الذي منه حركتها .

ويلحظ ما يأتي .

١- أنها تكون في وزن واحد في التحقيق والتخفيف.

٢- أنها لا تحذف، ولكنها تضعف وتقرب من الساكن[١٧].

٣- أنها لا تلغى كليًا، وإنما يكون لها أثر في النطق، ولذلك يمكن وصفها بأنها همزة مختلسة[١٨] ولذلك يصدق عليها وصفها بأنها بَيْنَ بَيْن.

٢- إبدال[١٩] الحروف.

من اختلاف اللهجات العربية في المظهر الصوتي إبدال الحروف قال ابن فارس: ((من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض)) كقولهم: مَدَحَه ومَدَهَه.

([١٧]) ولكنها في الحقيقة متحركة لذلك تعد وزن العروض حرفًا متحركًا كما قال ابن جني. وهي كذلك متحققة غير ساقطة كما ذكر بعض الباحثين.

([١٨]) أي حين تخفف يكون لها صوت مختلس ينطق بين الهمزة وصوت الحركة.

([١٩]) الإبدال: هو إقامة حرف مكان حرف يقرب منه مخرجًا مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة، وذلك مثل كلمتي: قشط وكشط.

يعود سبب إبدالهم الحروف إلى أسباب صوتية ولا سيما إذا علمنا أنَّ لكل حرف من اللغة مخرجه الخاص وصفته تميزه من غيره سواء في الشدة والرخاوة أو الهمس والجهر أو التفخيم والترقيق، وما أن ينتقل الحرف _ولو بدرجة قلية_ عن مخرجه أو يفقد إحدى صفاته حتى يتحول إلى حرف آخر قد يكون من المخرج نفسه مع اختلاف الصفة أو من مخرج آخر مع اتفاق الصفة . وقد أشار ابن دريد إلى أن انحراف المخرج بالمبالغة في التحقيق أو التساهل قد أدى إلى الاختلاف الصوتي بين اللهجات العربية فنجم عنه إبدال بعض الحروف مكان بعض بقوله : ((فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف باللهاة حتى تغلظ جدًا ، فيقولون: (القوم) فيكون بين الكاف والقاف وهذه لغة فيهم. وقال الشاعر:

ولا أكُـــول لِكـــدر الكَـــوْم: كـــد نَضِـــجَت ولا أكُـــول لبـــابِ الـــدارِ: مكفـــولُ))[٢٠]

أي:

ولا أقـــول لقـــدر القـــوم قـــد نضـــجت ولا أقـــول لبـــاب الـــدار مقفـــول

وقد كان الإبدال في بعض الكلمات من الأمور التي اختلفت حولها اللهجات العربية بيد أنه لم يقع إلا في الحروف المتقاربة في المخارج أو الصفات إلا في بعض الحالات الشاذة.

ومن الأمثلة على الكلمات التي جاءت مبدلة في لهجة أو أكثر ما يأتي:

أ- تقول قريش : كشط ، وتقول تميم وأسد: قشَط ، وفي التنزيل: ((وإذا السماء كشطت)) قال الفراء: يعني نُزعت فطويت ، وفي قراءة عبدالله (قشطت) بالقاف ، والمعنى واحد والعرب تقول: الكافور والقافور، والكُسط والقُسْط ، وإذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات.

ب- لَصِقَ به يلصق لُصُوقًا لهجة تميم، وقيس تقول: لسق بالسين وربيعة تقول : لزق، وإذا علمنا

(٢٠) هذه اللهجة ما زالت مشهورة في كثير من اللهجات العامية العربية في الأقطار العربية، وهي شائعة في العراق أيضًا، فهي توصف بإبدال القاف بصوت هو بين القاف والكاف.

أنها جميعًا من مخرج واحد (طرف اللسان وفويق الثنايا) لم نعجب من هذا الإبدال والاختلاف بين هذه اللهجات كما أنها جميعًا (السين والصاد والزاي) رخوة إلا أن الزاي مجهور مرقق، والصاد مهموس مفخم، والسين مهموس مرقق. ومثل هذا ما روي لنا عن اختلاف في (الصقر ، والزقر ، والسقر)

ت- أهل الحجاز وطيئ يقولون: فاظت نفسه ، وقضاعة وتميم وقيس يقولون: فاضت نفسه مثل فاضت دمعته، ولا غرابة في هذا الإبدال ، إذ إنَّ العلاقة بين الضاد والظاء وثيقة، فكلاهما رخو مجهور مفخم ولا يختلفان إلا في المخرج وهو قريب أيضًا[٢١].

ث- مما يلحق بالإبدال وهو من الاختلاف الصوتي بين اللهجات ما روي لنا من اللهجات التي وُصِفَت بالمذمومة كالعنعنة و الكشكشة والكسكسة والفحفحة والجعجة والشنشنة والوتم...الخ[٢٢].

٣- الإدغام والإظهار

من الاختلاف الصوتي بين اللهجات العربية حدوث الإدغام إذ إنه ضرب من أضرب التأثر بين الأصوات المتجاورة ، وقد مالت بعض اللهجات العربية ولا سيما تلك التي تؤثر السرعة و الخفَّة في الكلام إلى الإدغام في حين مالت القبال التي تجنح إلى الثاني والوضوح إلى الإظهار

والإدغام[٢٣]: هو النطق بالحرفين المتجاورين (ليس بينهما فاصل) حرفًا كالثاني مشدَّدًا، إذا كانا متماثلين (متفقين مخرجًا وصفة) ، أو متجانسين (متفقين مخرجًا ومختلفين صفة) ، أو متقاربين (متقاربان مخرجًا وصفة) طلبًا للتخفيف؛ لأنه بإدخالك حرفًا في الثاني يرتفع اللسان عنها رفعة واحدة من غير وقف على الأول كقولك في قطْطَع وشدَدَ : قطَّع وشدَّ، ويقع في كلمة وكلمتين

---

(٢١) الأمثلة على الإبدال كثيرة جدًا اكتفيت بهذه الأمثلة اختصارًا. ينظر: تفصيل ذلك في كتاب اللهجات العربية في التراث للجندي.

(٢٢) سيأتي بيان هذه اللهجات في بحث مفرد لاحقًا بعنوان الصفات اللغوية المذمومة في بعض اللهجات العربية.

(٢٣) أو هو بعبارة أخرى: ضمّ الصوت السابق إلى الصوت اللاحق ثم النطق بهما صوتًا واحدًا مشددًا؛ تيسيرًا للنطق.

في الفصل أو في الاسم إذا شابه الفعل لكون الفعل ثقيلًا فكان التخفيف به أليق ، وهو نوعان: كبير وهو ما كان أول حرفيه متحركًا، وصغير إذا كان أول حرفيه ساكنًا وهو الأصل في الإدغام .

وقد نُسِبَ الإدغام إلى تميم وأسد وبكر بن وائل وغيرهم من القبائل البدوية في حين نُسِبَ البيان أو الفك والإظهار إلى قريش والأنصار وثقيف وكنانة وهذيل وغيرهم ، ممن تأثر بالبيئة الحضرية أو جاورهم .

ويقسم العلماء المُحَدثون تأثر الأصوات إلى نوعين:

١- تأثر رجعي: وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني.

١- تأثر تقدمي: وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول.

الأمثلة على ذلك:

١- يقول أهل الحجاز: (الوَتِد) بكسر التاء، في حين يقول أهل نجد: (وَدّ) فأدغمت التاء في الدال، وتفسير ذلك أنَّ التاء المهموسة جاورت الدال المجهورة، فتأثر المهموس بالمجهور تأثرًا رجعيًا فقُرِّبت التاء من الدال إذ أُسكنت التاء ثم أُدغمت في الدال .

٢- اختلفت القبائل العربية في حركة آخر فعل الأمر المضعَّف ، ومضارعه المجزوم إذا لم يتصل بهما شيء على النحو الآتي:

أ- الفتح مطلقًا، مثل: مُدَّ ، عَضَّ ، عِزَّ ، ونُسِبَت هذه اللهجة إلى بني أسد وناس غيرهم .

ب- الكسر مطلقًا، وعزيت إلى كعب وغني ونُمَيْر.

ت – الإتباع لحركة الفاء، وهذا أكثر كلامهم، مثل: مُدُّ ، مَدَّ ، مِدَّ.

ويمكن أن يُعلَّل الفتح بأنه جاء للتخفيف، ويُعلَّل الكسر؛ لأنه الأصل في التخلص من الساكنين، أما الإتباع لحركة الفاء فلهدف انسجام الأصوات.

ثالثًا: الخلاف في التفاعل بين الحركات والحروف:

تحدثت فيما تقدم عن الخلاف بين اللهجات العربية في الحركات والحروف وتفاعل كل منهما مع مجانسه، وسأعرض هنا للخلاف بينهما في تفاعل الحركات مع الحروف وما نجم عن ذلك من اختلاف صوتي ، خير ما يعبر عنه هو الفتح والإمالة، إذ تُعَدُّ الإمالة من أضرب التأثر والتفاعل بين الأصوات المتجاورة صوائت كُنَّ أم صوامت بنوعيه التقدمي والرجعي، كما تشمل جميع صور التفاعل سواء الحركي أو الحرفي أو ما بين الحركات والحروف، فهي نتيجة إحداث نوع من المناسبة والانسجام بين أصوات اللغة في لهجة أو أخرى.

١- الفتح والإمالة[٢٤].

الإمالة: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، أو بعبارة أخرى: أن تميل الفتحة إلى الكسرة، والألف إلى الياء.

فوائد الإمالة:

١- تقريب الأصوات بعضها من بعض؛ طلبًا للخفة، فنحو: (عابد) قربوا الألف من الكسرة على الباء فكانت بين الألف والياء، فخففت على النطق وحدث الانسجام.

٢- التنبيه على الأصل كما قالوا في: باع ،و هاب؛ إنما أُميلت لتدل على أنَّ الأصل في العين الياء.

(٢٤) الإمالة ظاهرة خاصة بالنطق فقط ، وليس في الكتابة العربية رسم خاص لها.

٣- للمناسبة بين الفواصل نحو قوله تعالى: ((والضُّحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى)). فكلمة (الضحى) منتهية بألف، لكن هذه الألف لا تجوز إمالتها؛ لأنَّ أصلها واو إذ أصلها (الضحوة) ، غير أنَّ كلمتي (سجى ، وقلى) في آخر الآيتين التاليتين تمال الألف فيهما؛ لأن أصلها ياءً وعليه تجوز إمالة ألف (الضحى) لإرادة التناسب.

٤- ذهب بعضهم إلى أنها تحدث السرعة في النطق؛ لأن الفتح يؤدي الى البطء.

والإمالة[٢٥] لهجة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس وغيرهم، فهي تنسب إلى القبائل البادية. وأما الفتح فلهجة أهل الحجاز من قريش وثقيف وغيرهما، ولم يميلوا إلا في مواضع قليلة.

صورتا الإمالة: للإمالة صورتان:

١- إمالة الألف نحو الياء[٢٦]، وذلك حين يكون أصل تلك الألف ياء، مثل: هَدَى، وسَقَى، أو يمكن أن تصير ياء، مثل: غزا ، ودعا؛ لأنه إذا بُنيَ للمجهول يصير: غُزِي ، ودُعِي.

٢- إمالة الفتحة نحو الكسرة كإمالة نون كلمة نَأَى من الفتح الى الكسر.

من أمثلة الإمالة كلمة (يحيى) تمال إلى (يحيي).

([٢٥]) الإمالة ما زالت مسموعة في اللهجات العامية في بعض الأقطار العربية ولا سيما لبنان، وفي العراق نجدها في كلام أهل الموصل، مثل: جامع، مالح، بارد، فيقولون: جَيمع، مَيلح، بَيرد، ومثل كلمة الحدادين يقولونها: الحدَّيدين.

([٢٦]) هذه الإمالة شائعة في لهجة الموصل وتكريت فيقال مثلًا في واقف: ويقِف، وفي قاعد: قِعيد، وفي واحد: ويحد.